

١٧ - محاورات أفلاطون

المحور الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

- ولكن الروح التي قد أصابها الدنس ، والتي تكون كدرة عند انتقالها ، والتي ترافق الجسد دائماً ، وتكون خادمتها ، والتي تفرم وتهيم بالجسد ورغبات الجسد ولذائذه حتى ينتهي بها الأمر إلى العقيدة بأن الحقيقة لا تكون إلا في صورة جسدية ، يمكن الإنسان أن يلمسها ، وأن يراها ، وأن يذوقها ، وأن يستخدمها لأغراض شهواته - أعني الروح التي اعتادت أن تنفر من المبدأ العقلي ، وأن تخافه وتتحاشاه ، ذلك المبدأ الذي هو للعين الجسدية ممتص تستحيل رؤيته ، والذي لا يدرك إلا بالفلسفة وحدها - أفتحسب أن روحاً كهذه سترحل نقية طاهرة ؟

فأجاب : يستحيل أن يكون هذا -

- إنها قد استغرقت في الجسدي ، وقد أصبح ذلك طبيعياً بالنسبة لها ، لا تصلحها المستمر بالجسد ، وعنايتها الدائمة به

- جد صحيح

- ويحق لنا يا صديقي أن نتصور أن هذه هي تلك المادة الأرضية الثقيلة الكثيفة ، التي يذركها البصر ، والتي بفعليها تنقش الكتابة مثل هذه الروح ، فتتجذب هبوطاً إلى العالم المرئي مرة أخرى ، لأنها تخاف مما هو خفي ، وتخاف من العالم السفلي - فتظل محبوسة حول المقابر والحدود ، إذ تُرى بجوارها - كما يحدثوننا - أشباح طيفية بمنسجها ، لأرواح لم تكن قد رحلت نقية ، ولكنها ارتحلت مليئة بالمادة المنظورة فأمكن رؤيتها (١)

- يثلب جداً أن يكون ذلك يا سقراط

- نعم يا سيديس ، فأغلب الظن أن يكون ذلك ، ولا بد أن

(١) يقصد بذلك أن الأشباح التي يراها الناس عند المقابر ، إن هي إلا أرواح من ذلك الضرب الذي انتس أثناء الحياة في المادة انتسماً ، تفرقت الأجساد دنسة ملوثة بالمادة ، فتق عليها أن تعيش في ذلك العالم الطاهر النقي ، عالم الأرواح الخفية ، فهبطت إلى الأرض مرة أخرى ، وأمكن للعين رؤيتها

تكون هاتيك أرواح الفجار لا أرواح الأبرار ، هؤلاء الفجار الذين كتب عليهم أن يجوبوا في مثل تلك المواضع جزاء وفاقاً بما اقترفت سيئتهم في الحياة من إثم ، فلا ينقطع مجوابهم ، حتى تشبع الرغبة التي تملأهم ، ثم يسجنون في بدن آخر ، وقد يُظن أن تلازمهم نفس الطبائع التي كانت لهم في حياتهم الأولى - أي الطبائع تريد يا سقراط ؟

- أريد أن أقول إن من اندفعوا وراء الشره والفجور والسكر ، ولم تدبر في خلدكم فكرة اجتنابها ، سينقلبون حبراً وما إليها من صنوف الحيوان . فماذا ترى أنت ؟ أرى أن ذلك جد محتمل

وهؤلاء الذين اختاروا جانب الظلم ، والاستبداد والعنف ، سينقلبون ذئاباً أو صقوراً أو حداثاً ، وإلا قال أين تحسبهم ذاهبين ؟ فقال سيبيس : نعم ، إن ذلك ، ولا ريب ، هو مستقر تلك الطبائع التي تشبه طبائهم

فقال : وليس من العسير أن نهبي لهم جميعاً أمكنة تلائم طبائهم وميولهم المتعددة فقال : ليس في ذلك عسر

- وحتى بين هؤلاء ترى فريقاً أسعد من فريق ، فأولئك الذين اصطنعوا الفضائل المدنية والاجتماعية التي تسمى بالاعتدال والعدل ، والتي تحصل بالعادة والالتناء ، دون الفلسفة والعقل ، أولئك هم أسعد نفساً ومقاماً . ولم كان أولئك هم الأسعد ؟

لأنه قد يُرجى لهم أن يتحولوا إلى طبيعة اجتماعية رقيقة تشبه طبيعتهم ، مثل طبيعة النحل أو النمل ، بل قد يمددون صرة ثانية إلى صورة البشر ، وقد يخرج منهم أناس ذوو عدل واعتدال - ليس ذلك محالاً

- أما الفيلسوف ، أو محب التعلم ، الذي يبلغ حد النقاء عند ارتحاله ، فهو وحده الذي يؤذن له أن يصل إلى الآلهة ، وهذا هو السبب ، أي سمياس وسيبيس ، في امتناع رسل الفلسفة الحق عن شهوات الجسد جميعاً ، فهم يصبرون ويأبون أن يُخضعوا أنفسهم لها - لا لأنهم يخشون إهلاكاً ، أو يخافون لأسرهم دماراً ، كمحبي المال ، ومحبي الدنيا بصفة عامة ، ولا لأنهم يخشون العار والشين الذين تجلبهما أعمال الشر كمحبي القوة والشرف قال سيبيس : لا يا سقراط ، إن ذلك لا يلائمهم

يكون عندئذ أوضح وأصدق ما يكون، ولكن الأمر ليس كذلك
- جد صحيح

وتلك هي الحال التي يكون فيها الجسد أشد ما يكون
استعداداً للروح
- وكيف ذلك؟

- لأن كل سرور وكل ألم يكون كالسهم الذي يسمر
الروح في الجسد، ويربطها به، ويستقرقها، ويحملها على الإيمان
بأن ما يؤكد عنه الجسد أنه حق فهو حق، ومن اتفاقها مع
الجسد، وسرورها بمسرته ذاتها، تراها مجبرة على أن تتخذ
عادات الجسد وطرائقه نفسها، ولا ينتظر ألبنة أن تكون الروح
نقية عند رحيلها إلى العالم السفلي، فهي مشبعة بالجسد في كل
آن، حتى أنها سرعان ما تنصب في جسد آخر، حيث تنبت
وتنمو، ولذا فهي لا تسام بقسط في الآلهي، والنقي، والبسيط
فأجاب سيبس: ذلك جد صحيح يا سقراط؟

وهذا يا سيبس هو ما دفع عبي المعرفة الحق أن يكونوا ذوي
اعتدال وشجاعة، فهم لم يكونوا كذلك، لما تقدمه الحياة الدنيا
من أسباب

- لا، ولا ريب

- لا، ولا ريب! فليست تفكر روح الفيلسوف على هذا
النحو، إنها لن تطلب إلى الفلسفة أن تحررها، لكي تستطيع،
إذا ما تحررت، أن تلقى بنفسها مرة أخرى، في معتك اللذائذ
والآلام، فتكون بذلك كأنها تعمل ما تعمل، لا لشيء إلا لكي
تعود فتقضه، وكأنها تنسج خيوطها - كما فعلت بنلوب^(١) -
بدل أن تمعد إلى حلها، ولكنها ستخذ من نفسها عاطفة راكدة
ستتأثر كخطبو العقل، فتلازمه لتشاهد الحقيقي والآلهي (وهو
ليس موضوعاً للرأي) ومن ثم تستمد غذاءها، وهي تحاول بذلك
أن تحيا مادامت في الحياة، وتأمل أن تلتمس ذوي قرباها بعد
الموت، وأن تتحرر من النقائص البشرية، أي سمياس وسيبس،
أن تبعد روح كان ذلك غذاءها، وكانت تلك آمالها المنشودة، عند
انفصالها عن الجسد فتدروها الرياح، وتصيح عندما ليس له وجود
(يتبع) زكي نجيب محمود

فأجاب: حقاً إنه لا يلائمهم، وعلى ذلك فاولئك الذين يعنون
بأرواحهم، ولا يقصرون حياتهم على أساليب الجسد، ينفذون
كل هذا، فهم لن يسلكوا ما يسلك المسمى من سبل، وعندما
تعمل الفلسفة على تطهيرهم وفكاكهم من الشر، يشعرون أنه
لا ينبغي لهم أن يقاوموا فعلها، بل يميلوا نحوها، ويتبعوها إلى
حيث تسوقهم

- ماذا تعني يا سقراط؟

قال: سأحدثك. إن عبي المعرفة ليدركون عندما تستقبلهم
الفلسفة أن أرواحهم إنما شُدت إلى أجسادهم وألصقت بها،
ولا تستطيع الروح أن ترى الوجود إلا خلال قضبان سجنها،
فلا تنظر إليه وهي في طبيعتها الخاصة، إنها تتمرغ في حمأة الجهالة
كلها، فإذا ما رأت الفلسفة ما قد ضرب حول الروح من قيد
نخيف، وأن الأسيرة تنساق مدفوعة بالرغبة إلى المساهمة في
أسر نفسها (لأن عبي المعرفة يعلمون أن هذه كانت الحالة البدائية
للروح، وأنها حين كانت في تلك الحال، تسلمتها المعرفة،
ونصحتها في رفق، وأرادت أن تحررها، مشيرة لها بأن العين
ملثمة بالخداع، وكذلك الأذن وسائر الحواس، لتحملها على
التخلص منها تخلصاً تاماً، إلا حين تدعو الضرورة إلى استخدامها،
وأن تتجمع وتتفرغ إلى نفسها، وألا تنق إلا بنفسها وما توحى
به إليها بصيرتها عن الوجود المطلق، وأن تشك في ما يأتيها عن
طريق سواها، ويكون خاضعاً للتغير)، فالفلسفة تُبَيِّن لها أن
هذا مرئي ملموس، أما ذلك الذي تراه بطبيعتها الخاصة فمقل
وخفي، وروح الفيلسوف الحق تظن أنه لا ينبغي لها أن تقاوم
هذا الخلاص، ولذا فهي تمتنع عن اللذائذ والرغبات، والآلام
والمخاوف، جهد استطاعتها، مرتئية أن الإنسان حيناً يحوز
قدراً عظيماً من السرور أو الأحرار أو المخاوف أو الرغبات، فهو
لا يعاني منها هذا الشر الذي تقدره الظنون - كأن يفقد مثلاً
صحته أو متاعه، مضحياً بها في سبيل شهواته - ولكن يعاني
شراً أعظم من ذلك، هو أعظم الشرور جميعاً وأسوأها، هو شر
لا يدور في خلد أبدأ

قال سيبس: وما هو ذلك يا سقراط؟

- هو هذا: حيناً تحس الروح شعوراً شديداً عنيفاً، بالسرور
أو بالألم، ظننا جميعاً، بالطبع، أن ما يتعلق به هذا الشعور العنيف

(١) بنلوب هي زوجة أوليس، التي كانت تنقض في الليل ما قد
نسجه في النهار، لتكذب وقتاً من خطاها